الكتابة مابعد الحداثية في ديوان "هذا هو اسمي" لـ أدونيس

Postmodern writing at Adonis "This is my name" office

ط د: حياة حجاز*

أ د: بشير تاوريريت♣

تاريخ الإرسال: 2020/ 07/26	تاريخ القبول: 03 / 09 / 2020	تاريخ النشر: 30 / 03 / 2021

الملخص:

تهدف هذه الدراسة في شقيها النظري والتطبيقي استنطاق تجاعيد حروف الإبداع الأدونيسي، مطاردين تجليات الكتابة مابعد الحداثية من خلال ديوانه" هذا هو اسمي"، فالكتابة مابعد الحداثية في نظره مخطط ثوري، والشعر عصيان لغوي، وبهذا تفقد القصيدة وظيفتها التقريرية، لتستلم وظيفة تحريضية تسعى إلى خلخلة العلاقة القائمة بين الشاعر والقصيدة النموذج،كيف استطاع أدونيس عقد صلح بين القوالب اللغوية القديمة المرتكزة على التعبير، والقوالب الحداثية المبنية على الخلق والتجاوز؟

ديوان"هذا هواسمي" يعلن عن برنامج شعري متكامل يؤسس لكتابة مابعد حداثية، يأسر القارئ فيتبع غوايته، ويكشف الحجب عن ملمح كتابي جديد.

الكلمات المفتاحية: الكتابة، مابعد الحداثة، الحداثة، الرؤيا، الشعر.

المؤلف المرسل: حياة حجاز alaqsahayat1993@gmail.com

* جامعة محمد خيضر/ بسكرة alaqsahayat1993@gmail.com

♣ جامعة محمد خيضر/بسكرة bachir.taouririt@univ-biskra.dz

***Abstract* :**

This study aims, in its theoretical and practical aspects, to explore the wrinkles of the letters of Adonis creativity, chasing the manifestations of postmodernist writing through his book,

"This is my name." In his view, writing is a modernist revolutionary outline, and poetry is a linguistic disobedience, and in this way the poem loses its declarative function, to receive an

inflammatory function that seeks to dislocate the relationship between the poet and the poem, the model, How did Adonis manage to reconcile ancien linguistic forms based on expression, and modernist forms based on creation and transcendence?

***Key words**: writing, postmodernism, modernity, vision, poetry*

.

*** *** ***

مقدمة:

من المصطلحات الأكثر استعمالاً وتداولاً في الآونة الراهنة؛ مصطلح مابعد الحداثة، لم يقتصر على الأدب وحده، بل ألقى بظلاله على شتى أصناف الفنون والعلوم بدءاً بالعمارة مروراً بالفلسفة، وصولاً إلى لأدب؛ هذا الشيوع دفع بالمفكرين والفلاسفة المعاصرين، محاولة ملامسة هذا المولود الجديد، بالنبش في أصوله الفكرية ومرجعياته الفلسفية ، مدركين حقيقة استحالة فهم موضوع بمعزل عن منطلقاته وأسسه، والظروف المحيطة به، ظروف عاشها الغرب أعقبت الحرب العلمية الثانية،فتيل حرب أفقده هويته، وجرده من حريته، تحت مسمى"السلطة" وهذا أمام مرأى ومسمع الحداثة التي وعدت علناً بتحرير العقل من الوصاية واستخدام الفكر دون قيد والتحرر من سلطة الكنيسة، والفكر الميتافيزيقي ،إنها ثورة على الثوابت والقيم بيد أنها حادت ونكصت عن أهدافها ووعودها فاستفاق الإنسان من غيبوبته،بعد أن كشف الحجب عن مشروع- الحداثة- زائف، وما كانت ردة فعله إلا اللحاق بركب الحضارة ممتطياً مشروعاً جديداً عُرف بما بعد الحداثة، فالمقصود بما بعد الحداثة؟، وما سياقه التاريخي و الابستمولوجي؟ هل ما بعد الحداثة ضد الحداثة؟ هل الحديث عن مشروع ما بعد الحداثة حديث عن موت الحداثة؟ أم استكمال لمشروع لم يكتمل؟

2. مفهوم ما بعد الحداثة:

ليس من هموم هذا المقال ولا من طموحاته ومقاصده أن يكون دليلاً هاماً ومرجعاً أساساً لتعريف جامع مانع لمصطلح" ما بعد الحداثة" وإذا سمحنا لأنفسنا بأن ندعي ذلك فقد أسأنا فهم هذه الظاهرة غير أننا نسعى إلى رصد أهم التعاريف والمقاربات النظرية، التي حاولت إماطة اللثام عن أهم معالمها؛ وقد أجمع منظروا ما بعد الحداثة أنفسهم :" استحالة التحديد أو التعريف لأن لفظة " تعريف" هي لفظة حداثية موروثة من نماذج الوضعية المنطقية ولا تنسجم بالتالي مع الإطار العام لما بعد الحداثة، والذي لا يحوي ضمن مفرداته مقولة التحديد، فالتعريف يوحي بالثبات كما أنه يفرض مقدماً أنّ كل من سيقرؤه سيفهمه، وهذا ما يرفضه منظروا ما بعد الحداثة الذين لا يؤمنون بوجود حقيقة موضوعية"[1]

في حين ترى الروائية برندا مارشال:" استحالة الوصول إلى تعريف قاطع كلي عند هؤلاء، وإنما هي مجرد لحظات تلتقي فيها هذه التعريفات عرضاً أو تتماسّ مع بعضها البعض"[2] بيد أن الإقرار باستحالة وضع تحديد أو تعريف لم يقف حائلاً دون وضع مقاربات من شأنها أن تنير درب القارئ، وتعينه على الإحاطة بظروف هذا المشروع الجديد ومن بين أهم التعريف ما يلي:

ما بعد الحداثة:" حركة فكرية جديدة تقوم على نقد الحضارة الغربية وإنجازاتها وتسعى إلى بلورة مشروع حضاري بديل يقوم على تحرير الإنسان من قيود الرأسمالية"[3]

مابعد الحداثة:" نوع من الثقافة يعكس بعض التغيرات البعيدة المدى بأسلوب سطحي، غير شمولي، وبلا ركيزة فهو أسلوب لعوب، ومشتق ومتعدد وانتقائي يطمس الحدود التي تفصل بين الثقافة العالية، والثقافة الشعبية وأيضاً بين الفن وتجارب الحياة اليومية"[4]

يرى بيتر بروكر:" بأن مصطلح ما بعد الحداثة ليس مجرد كلمة تصف أسلوباً خاصاً فهو مفهوم زمني وظيفته الربط بين ظهور خصائص شكلية جديدة في الثقافة وبين ظهور نمط جديد من الحياة الإجتماعية ونظام اقتصادي جديد وهو مايسمى بالتحديث أو المجتمع الصناعي أو الاستهلاكي،أو مجتمع وسائل الإعلام والرأسمالية متعدد الجنسيات"[5] مانستشفه من خلال التعاريف السابقة حرصها الشديد الإشارة ضمنياً أو ظاهرياً إلى الظروف الثقافية والاجتماعية والاقتصادية(الرأسمالية) التي مهدت وفجرت حركة مابعد الحداثة الرافضة لكل أشكال العبودية الفكرية وهو مايدفعنا دون شك إلى محاولة تفكيك مصطلح **"مابعد الحداثة "** المكون من مقطعين.

إن مصطلح مابعد الحداثة **"post modernism"** مصطلح شديد الارتباك متعدد الوجوه لعل منها مايعود إلى مفهوم كلمة(الحداثة) نفسها، ومنها مايعود الى البادئة **(post مابعد)** ومنها مايعود إلى المصطلح نفسه؛ الكلمة والبادئة معاً**(مابعد الحداثة)**[6]

ارتباك هذا المصطلح وتعقيده وصعوبته راجع الى كونه منحوت بالعودة إلى مرحلة سابقة له تمثلت في مرحلة الحداثة، عدم استقلاليته جعله مدين للحداثة بالعبودية والتبعية غير المباشرة.

تجدر الإشارة أن لفظة **(مابعد)** ليست جديدة، والدليل أن أرسطو طاليس وظفها في كتابه**(مابعد الطليعة)**[7].

إن البادئة مابعد التي تتضمنها لفظة **مابعد الحداثة** ليست مجرد كلمة تضاف إلى أخرى موجودة وسواء كتبت بارتباط مع الحداثة أو بانفصال عنها، سواء كتبت في اللغات الأجنبية بحرف كبير للبادئة **post**أو حرف صغير فهي تمنح للحداثة في العبارة المنطوقة أو المكتوبة دلالتها[8] فحذف البادئة تغير في مدلول المصطلح

وهناك من يذهب أبعد من ذلك ويرى أن: (مصطلح مابعد الحداثة يصلح لكل شيء وينطبق اليوم على كل شيء يريده من يستخدمه،كما أن هناك على مايبدو محاولة لجعله ذا أثر رجعي، ففي البداية تم تطبيقه على بعض الأدباء والفنانين ممن قاموا

بنشاط في السنوات العشرين الماضية؛ ثم عاد إلى بداية القرن، ثم ظل يتراجع إلى الوراء ولازالت عملية العودة في الاتجاه العكسي مستمرة وسرعان مايطلق المصطلح على هوميروس)[9]

المتتبع لمسألة الحداثة ومشروع مابعدها يلاحظ أنه إزاء مشاكل خلافية يصعب حلها، فالمفكر الأمريكي ريتشارد رورتي يلحق الحداثة بفكر ديكارت القرنان17/16الميلاديان والمفكر الألماني يورغن هابرماس يربطها بعصر الأنوار القرن18الميلادي، كل ذلك يدل على غموض مفهوم الحداثة واضطراب معناه وقلق فحواه،بل إن غموضه يؤثر من الجهة ذاتها على دلالة مفهوم مابعد الحداثة فيرد هذا المفهوم غامضاً مظطرباً بسبب استناده مفهموم الحداثة وانبنائة عليه وهكذا يجري إطلاق مفهوم مابعد الحداثة على أمور متناقضة إلى الحد الذي يصير معه فاقد لمعنى محدد[10]

أحدث مشروع مابعد الحداثة انفلاتاً نقدياً غير مسبوق داخل الصرح النقدي مابعد الحداثي مما ولد انقساماً وتبايناً بين المفكرين بين مؤيد ومعرض لهذا المشروع؛ من المنظرين من يذهب بالقول أن مابعد الحداثة جاءت لتنعي موت الحداثة وتعلن خبر وفاتها،هذا التيار يقوم على شن هجوم مركز على قيم ومرتكزات الحداثة" هناك من يجعل مابعد الحداثة حركة انفصال وقطيعة على الحداثة وثوابتها"[11]

هناك من يذهب أبعد من ذلك إلى أن مشوع الحداثة الغربي قد سقط نهائيا بعد أن أخفقت الحداثة في تحقيق وعودها- تحرير الإنسان من قيود الفكر الغربي الميتافيزيقي- وهم بذلك يبشرون بقيم جديدة تقوم على أسس الانفتاح الفكري المضاد لفكر الحداثة الجامد والذي يتسم بصياغة الأنساق الفكرية المغلقة ويدعون إلى تحرير الإنسان من قبضة الشمولية الفكرية والسياسية والاجتماعية وتأكيد حقه في اختيار مصيره وتحديد مساره في الحياة[12]

هناك من يرفض هذا الطرح ويرى أن الحداثة كانت دوماً حداثية ومعنى ذلك أنهم لم يفهموا الحداثة كتوقف عند لحظة لها مقوماتها الثابتة بل اعتبروها حركة

انفصال ماتفتأ تتجدد ، ومعناه أيضاً أنهم أقحموا البعدية داخل حركة التحديث ذاتها فنظروا إلى ما بعد الحداثة على أنها حداثة الحداثة[13]

ومن هنا فإن :" مابعد الحداثة ليس إلا الحداثة وقد وسعت مكتسباتها ورسختها فهي حداثة أعمق وأرسخ لأنها أكثر مرونة وأكثر قدرة على احتواء نقائصها[14]

ومنه فإن مابعد الحداثة ليست استمراراً نقدياً للحداثة وأن الحداثة نفسها ليست خصائص ومميزات وإنما حركة انفصال لاتكف عن الابتداء[15]

وعليه فلا مناص والحال هكذا أن نحيط بمفهوم مابعد الحداثة دون الرجوع إلى مرحلة سابقة لها ألا وهي الحداثة باعتبارها تشكل المقطع الثاني لمصطلح مابعد الحداثة، وأن الاعتقاد بإمكان الاستغناء على مرحلة الحداثة لفهم مابعدها لايعدو كونه اعتقاداً يضرب السيرورة التاريخية عرض الحائط، وتشظي رتابة الزمن بل محاولة بتر الإنسان عن ماضيه وبالتالي انسلاخه عن أصله، واغترابه عن ذاته وتنكره لحقيقته، لذلك تجدر الإشارة إلى أن مشروع الحداثة عند العرب مشروع مستورد وأنّ أي محاولة لتطبع قوم بخصائص قوم آخر مباين لخصائصهم لايعدو كونه ضرباً من العبثية وقفزاً فوق قوانين الطبيعة،لذا فالنقاد العرب قد فشلوا في إبداع حداثة عربية أصيلة لها مميزاتها لافتقارها ظروف نشأة الحداثة الغربية " فهم يستعيرون المفاهيم النهائية لدى الآخرين ويقتبسون من المدارس الفكرية الغربية ويحاولون في جهد توفيقي بالدرجة الأولى تقديم نسخة عربية خاصة بهم،إنها كلها عمليات اقتباس ونقل وترقيع وتوفيق لاترتبط بواقع ثقافي أصيل، ومن هنا تجيء الصورة النهائية مليئة بالثقوب والتناقضات"[16]

ومن الطبيعي في عملية النقل والاقتباس والإبداع الذاتي أن تحدث تشوهات في القيم هنا وهناك، لكن يبقى السؤال:هل هناك تغير اجتماعي أو ثقافي يمكن أن يحدث بغير سلبيات؟[17]

وبما أننا نعيش عصر العولمة، فإن التخندق وراء الخصوصية الثقافية أمرُ مبالغٌ فيه، والخوف من تلوث الذات وتسممها بما يُصدر إلينا من فكر غربي خوفُ

مشروع، غير أنه لامفر منه بفعل انفتاح الآفاق وتلاشي الحدود، وهل هذا الانفتاح اللامتناهي على ماهو غربي يعد مبرراً كافياً لإعلان الانصهار والذوبان وميلاد ثقافة عالمية مشاعة للجميع؟ كيف الخلاص من هذا المد الفكر الغربي؟ كيف سيحافظ الناقد العربي بغربال وبصيرته النقدية حرمة خصوصياته وهويته في ظل انتهاكها واختراقها؟ بعيداً عن التطرف الذي وصل مداه عند بعظهم:" لدعوة صريحة لأن يكف الباحثون في بلادنا عن الاطلاع على الأدبيات الغربية الحديثة حتى لايتأثروا بها وبسمومها الفكرية"[18]

ومن هنا تثار تساؤلات متعددة ؛ هل من الممكن وضع تعريف لمفهوم الحداثة؟ أو إعطاء جواب عن سؤالها وظروف نشأتها؟ هل ستطبق بجدية ونزاهة؟ أم أنها ترتكز على الغموض، الزيف، الخداع؟ مامدى تأثيرها على العرب؟ وهل من شأنها أن توقع الإنسانية في حبائل العبودية من نوع جديد ؟ وهذه المرة بإشراك الإنسان العربي في ظل العولمةن أيجوز أن يكون مشروع الحداثة هكذا خبط عشواء من غير ماقيد أو شرط؟ ليست واثقة من أنني سأجيب على كامل التساؤلات هذه في ظل هلامية هذا المشروع وتعدده.

1.2: الحداثة واحدة أم متعددة؟

مما لاشك فيه أن مشكلة مابعد الحداثة من أعوص المشكلات المطروحة على بساط الساحة الفكرية الغربية والعربية على حد سواء وإلا لما طال الجدل حولها؟

2.2 : إشكالية المصطلح:

قبل الدخول والاقتراب من الملامح العامة لمشروع الحداثة لابد من الإشارة إلى التميز الذي يوضع بين الحداثة Modernite والتحديث Modernisation والحداثة في نظر "**جورج بلانديي**" تستعمل لوصف الخصائص المشتركة للبلدان الأكثر تقدماً على صعيد التنمية والتكنولوجيا السياسية والاقتصادية والاجتماعية أما التحديث فإنه يستخدم لوصف العمليات التى بواسطتها تكتسب هذه المستويات من التنمية"[19]

تعدد الدال أحدث معضلة والمعضلة في ذلك تتمثل في ازدواجية الدلالة المفهومية لهذه المفردة في اللغة العربية ،نها تطلق على modrinity وال modernism وشتان شتان مابين المفردتين فالأولى مفهوم له بعده المعرفي والتاريخي وتجسيداته الواقعية في مراحل التاريخ البشري كلها والثانية نزعة عقائدية ldeology ،هي بما لايقبل أدنى شك أبعد ماتكون عن العقلانية وربّما المعقولية[20]

يعود مصطلح الحداثة في اللغة الانجليزية إلى الجذر[21]mod من هذا الجذر الأجنبي تعددت المشتقات الغربية والعربية وتباينت فتباينت مدلولاتها؛ الحديث modern والتحديث modernisation والحداثي modernist والحداثة modernity والحداثية modernism وقد أخذ المصطلح في وقت متأخر يتموضع في الحالة الغربية على أرضية واضحة مستقرة مشتركة إلى حد بعيد قادت إلى شبكة اتفاق حول مضمونه[22]

دعا السيد أحمد عزت المجامع اللغوية العربية إلى تحمل مسؤولية وزر هذه المخالطة المصطلحية معطياً بذلك حلاً بديلاً بترقيع المصطلح وهذا ماأورده في خاتمة كتابه الحداثة ترادف السيرورة التاريخية والتي لامفر منها في حين ترادف الحداثوية اللاعقلانية موضحاً في الوقت ذاته استحالة تقبل دعاة الحداثة العرب هذا الطرح كونهم يستترون وراء الازدواجية المصطلحية[23]

يترجم عبد الوهاب علوب عن بتر بروكر مصطلح الحداثة في كتابه الحداثة وما بعد الحداثة **بالمعاصرة**[24]

في حين يترجم ميجان الرويلي وسعد البازغي في كتابهما دليل الناقد الأدبي بالحداثية ،الأمر ذاته ينطبق على محمد عناني في معجم المصطلحات الأدبية الحديثة،على خلاف ذلك يترجم قاموس المورد مصطلح modernism بالعصرانية.

الاختلاف والتباين في ترجمة مصطلح واحد لدليل واضح على عدم الوحدة والتنسيق في النقل والترجمة، الأمر الذي يدفع بالقارئ النكوص على مراميه؛ فبدل السعى إلى كشف الجذور العميقة التي أفرزت هذا المصطلح أوذاك يتيه القارئ في تعدد

دواله وترجماته تحت مظلة الأزمة المصطلحية يقول عبد العزيز حمودة بهذا الصدد:" حينما نستخدم مفردات الحداثة الغربية ذات الدلالات التي ترتبط بها داخل الواقع الثقافي والحضاري الخاص بها يُحدث فوضى دلالية داخل واقعنا الثقافي والحضاري وإذا كنا ننشد الأصالة فقد كان من الأحرى بنا أن ننحت مصطلحنا الخاص بنا، النابع من واقعنا بكل مكوناته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، لأن الهوة بين الواقعين الغربي والعربي واسعة سيحيقة لايكفي الادعاء الأجوف بإقامة جسور فوقها لأن ينسينا إدراك الاختلاف وحينما ننسى ذلك الشعور بالاختلاف تقع في المحضور لأننا نتناسى مجموعة من المحاذير التي تجيء مع هذا الإحساس بالاختلاف[25].

من الواضح أنا هناك التباساً في مفهوم الحداثة واضطراباً في معناه فالحداثة مهما تقول عن نفسها ومهما يقال عنها، أو يحال عليها من تحليلات وتنظيرات إنما تظل أشباحاً لها، إنها من نوع تلك المفاهيم التي تتمرد على المفهمة[26]

3. : تجليات الكتابة مابعد الحداثية في قصيدة" هذا هو اسمي"

1.3شعرية العنوان: لم يحظ العنوان باهمية تذكر كما حظى اليوم به؛ قديما تعنون القصائد من قبل المتلقي لها، لامن قبل مبدعها فسُميت اعتماداُ على حرف الروي(سينية البحتري، لامية الشنفرة...) أو تسمى بمطالع القصائد(بانت سعاد لكعب بن زهير...) ومرد ذلك راجع إلى اعتماد الشاعر على الشفوية، اليوم يولي الشاعر عنوانه أهمية بالغة كونه أول علامة لغوية تصافح بصر المتلقى وتلقي به على ضفاف أبيات الإبداع، أدونيس واحد من هؤلاء.

1.1.3العنوان لغة: ورد في لسان العرب:" وعننت الكتابة وأعننته لكذا أي عرضته له وصرفته إليه، وقال ابن سيده العنوان والعِنوان سمة الكتاب"[27]

وجاء في الصحاح:" عنا" بمعنى خضع، وذل بابه وسما، والعانى الأسير، أرادوا عنوان الكتاب والاسم العنوان"[28]

2.1.3العنوان في الاصطلاح: تنوع تعريفه في الاصطلاح وتعددت مقارباته ومن بين التعريفات:

العنوان:" نظام سميائي ذو أبعاد دلالية ورمزية وأيقونية وهو كالنص أفق، قد يصل القارئ عن الصعود إليه، وقد يتعالى هو عن النزول لأي قارئ وسميائيته تنبع من كونه يجسد أعلى اقتصاد لغوي"[29]

في حين يعرفه سعيد علوش:" العنوان مقطع لغوي أقل من الجملة، نصاً أو عملا فنياً ويمكن النظر إلى العنوان من زاويتين في سياق أو خارج السياق"[30]

تخيّر أدونيس عنواناً لديوانه" هذا هو اسمي" وبما أن عنوان الديوان أخر مايكتب فالمرجح أن الشاعر نسج من عنوان قصيدته عنواناً لديوانه وهو ما أحاله إلى التطابق، استهل الشاعر العنوان باسم إشارة"هذا" للدلالة على المفرد المذكر القريب فأدونيس قريب من عشاقه ومتلقى شعره، هذا اسم إشارة مبني في محل رفع مبتدأ، ليعقبها بضمير رفع منفصل "هو" في محل رفع مبتدأ ، غير أن هذا الضمير يحيل إلى مُشار اليه غائب فمن الغائب ياترى؟ أدونس الشاعر أم أدونيس إله الشعر؟ التركيب النحوي الأدونيسى لم يكن اعتباطياً البتة؛"هذا هو"لديل على التماهي الحاصل بين الشاعر واله الشعر،وتجلى ذلك من خلال الاسم "اسمي" ، يريد الشاعر من خلال عنوانه ذا التركيب الاسمي-جملة اسمية في محل رفع خبر- أن يعبر عن صوته المشحون ببعده الذاتي الفردي، المعبر عن رؤيته للشعر وعن شاعريته الفذة ،وقدرته على الخلق الكتابي التجاوزي ، لقد أيقن أدونيس حتمية الغياب، لذلك انبعثت في فكره وسيلة للخلود في جانب لايطاله الموت أو الغياب وذلك من خلال السعي إلى العمل الأدبي الذي يحفظ اسمه، فصاحب العمل الأدبي يدرك حتمية موته بيد أن عمله يبقى خالداً.

2.3: الرؤيا الشعرية: اتفقت جل المعاجم العربية إن لم نقل كلها على ضرورة وضع تبيان الفرق بين **"الرؤيا" و"الرؤية"** فجاء في معجم لسان العرب:"الرؤية النظر بالعين والقلب...والرؤيا ما رأيته في منامك**"**[31]

وجاء في معجم الدكتور جميل صليبا، والذي جاء فيه: " الرّؤيا: ما يرى في المنام، وجمعه رؤىً، وقد يطلق لفظ الرّؤى على أحلام اليقظة، والفرق بين الرّؤيا والرّؤية، أنّ الرّؤيا مختصة بما يكون في النّوم، على حين أنّ الرّؤية مختصة بما يكون في اليقظة، فالرّؤيا بالخيال، والرّؤية بالعين والرأي بالقلب، ومنه رؤى المصلحين الاجتماعيين، وأحلام الفلاسفة، وإذا أطلقت الرّؤية على المشاهدة بالنّفس سيمت حدساً، وقد تطلق الرّؤية على مشاهدة الحقائق الإلهية، أو على المشاهدة بالوحي، أو على الإدراك بالوهم، أو المشاهدة بالخيال"[32]

الرؤيا الشعرية عند صلاح عبد الصبور:" هي تجاوز للواقع دون الانسلاخ الشامل منه، إنها الأداة التي تنقل القصيدة من عالم القوة إلى عالم الفعل عبر التقمص الداخلي والحيلولة في قالب الأشياء... إنها حلم "[33]

ألح أدونيس الناقد في أكثر من موضع ضرورة تحلى الشاعر برؤيا شعرية تتجاوز الرؤيا التقليدية، رؤيا تخلخل الثابت وترمي به في غياهب التحول والتجديد، وتنظيراته النقدية هذه أعقبتها مقاربات تطبيقية من شأنها أن تؤسس لكتابة مابعد حداثية.

3.3 التجاوز والنفي: استقالت القصيدة المعاصرة من وظيفتها التعبيرية التقريرية لتستلم وظيفة الخلق، وبهذا تكون القصيدة المعاصرة تجاوزت النمطية ، ومن دعاة التجاوز أدونيس الذي نادى بضرورة "قتل الماضي التقليدي ومعانقة الحاضر، فيما يقف على عتبة المستقبل،خارق العادة ثائر، فليس شاعر من ليس ثائر، هذا الشعر الذي يجيء يجب أن يموت أولاً أن يعرف كيف يموت بجسده العتيق،لكي ينبعث في أدرك أدونيس الشاعر أن التقليد يحيل إلى الرتابة والتكرار وبذلك تفقد القصيدة عبق الإبداع ويسلب القارئ منها عنصر الدهشة والمفاجأة، فغدت قصائده عوالم مجهولة لم تُكتشف بعد مما أجبر القارئ ،الفارس، الفاتح لعالم أدونيس أن يتزود بثقافة جديدة تمكنه من فك شفرة الإبداع الأدونيسي يقول أدونيس:[34]

ماحياً كل حكمة هذه ناريّ

لم تبــق-أية-دمي الأيــة

هذا بدئي

ويقوا أيضاً:[35]

وهذا لهبي ماحيا

جسد آخر"[36]

نسب النار لنفسه مستعيناً بياء النسبة " لهيبي"، فالتركيب النحوي الأدونيسي تركيب قصدي، يهدف من وراء ذلك إثبات الذات ولايتسنى له إلا بفعل الرفض والتجاوز ومايؤكد ذلك قوله:[37]

قادر أن أغير: لغـــم الحضارة – هذا هو اسمي

أدونيس له قدرة الخلق الشعري له رؤيا ومفهوم مغاير لمفهوم السلف، استطاع تخطي لغم الرتابة بعد أن أوجد لاسمه مكاناً في سماء الشعر العربي المعاصر، برفضه نمطية الكتابة والتحجر، فديوانه" هذاهو اسمي" أسقط الحدود بين الأجناس، مما دفع بالقارئ سلك الدروب الوعرة، محملا بزاد التساؤل، منهوك الدهشة، مسلوب التوقع، بعد أن كسرت قصائد الشاعر أفقه.يقول في موضع أخر:[38]

أصرخ أنّ الطوفان يأتي؟ لنبدأ صرخة تعرج المدينة

والناس مرايا تمشي إذا عبر الملح التقينا هل أنت؟

هل الصخر جواب؟ هل موتك السيد النائم يغوي؟

تمازج الأسلوب الخبري بالأسلوب الإنشائي، ولم نعد ندرك الفصل بينهما هل الشاعر في معرض اخبار، ام معرض تساؤل؟ غير أن المصرح به علناً تمنيه قدوم طوفان يغرق القداسة، يغرق الصخر الأصم، يغرق قصيدة عجت بالموت، لاخلاص ولا انفكاك من قيود التقليد إلا نفي للتكرار يقول في مقطع امتزج فيه الشعر بالنثر:

ماذا أرى؟ أرى ورقاً قيل استراحت فيه الحضـــارات(هل

تعرف ناراً تبكي؟) أرى المئة اثنين أرى المسجد الكنيسة

ليأت الوقت الحزين لتستيقظ لهيب الشعوب والرفض

هل نحن أمام مسرح نهايته تراجيدية؟ أم أننا نشاهد حواراً داخليا يثير تساؤلات ويفضى إلى إجابة، والمرجح أننا أمام ومضة تسرد تجربة الناقد الشاعر أدونيس وكيف تجاوز القداسة التي اصطبغ بها شعرنا العربي، فضل الاستراحة تحت ظل الفوضى العبثية التمرد، التحول والتجديد، على عكس من طاب لهم المقام بأطلال تشع تقليداً، تكراراً، ورتابةً.

الإشكالات التي أثارها أدونيس سرعان ما وجدت صداها وتأثر بها القارئ، ليحول القارئ من متلقي للشعر إلى متمدرس طالب للمعرفة والحقيقة، مالحدود الفاصلة بين الشعر والنثر؟ ليكون أدونيس بذلك وصل إلى مبتغاه؛ خلخلة مفهوم الكتابة

4.3 الحلم: جاء في لسان العرب:" الحلمُ والحلُم ويقال: حلم يحلم إذا رأى في المنام والرؤيا والحلم عبارة عما يراه النائم في نومه من الأشياء، ولكن غلبت الرؤيا على مايراه من الخير والشيء الحسن، وغلب الحُلم على مايراه من الشر والقبح "[39]

الحلم في معناه الاصطلاحي؛ رديف الرؤيا، أو هو أساسها ومنبع انبعاثها،فهي تقوم على فعل روحي لا إرادي تشهد فيه القدرات التخيلية نشاطاً هائلاً[40]

إن هروب شعراء الحداثة من التجريد الواقعي وبحثهم عن الحرية دفعهم إلى امتطاء الحلم باعتباره أداة لارتياد المطلق، فهو يفك الواقع إلى عناصره الأولية ويعيد تركيبه على نهج لايخضع فيه الواقع الخارجي بتجاوز معطياته والالتحام بعوالم ميتافيزيقية[41]

والحلم عند أدونيس جواز سفر قصائده، يلج بها إلى عالم الإبداع والتحرر، وقد استخدمه بطريقة متفردة من خلال مزجه بواقع الحياة الأدبية العربية في محاولة منه؛

تجسيد طموحاته وتمرده على هيكل القصيدة العربية الأنموذج، ويعلن ميلاد كتابة خارج المألوف يقول:[42]

... في خريطة تمتد ...إلخ، حيث يدخل السيد المقيـم

في الصفحة1 راكباً حيواناً بحجم المشنقة ، يتحول إلى تمثـال

ملء الساحات العامة.(وكانت)الحاكمة تغسل عجيـــزاتها

هاهو أدونيس يتجاوز منطق العقل، ويتصافح مع اللامعقول، إنها لغة ماوراءها لغة؛ كيف لخريطة أن تمتد في صفحة يقيم فيها سيد يتميز بالجمود والثبات؟ وكيف لجسد إمرأة أن يدخل الرمح؟ فأدونيس يدفع بالقارئ إلى استجماع كل أدواته النقدية لمجابهة ماستعصى من مفردات، يقول في موضع أخر:[43]

شجر يثمر التحول والهجرة في الضوء جالس في فلسطين

وأغصانه نوافذ أصغينا لأبعاده قرأنا معه نجمة الأساطير

جند وقضاة يدحرجون عظاماً ورؤوساً، وآمنون كما يرقد الحلم.

هنا يتكشف القارىء عظمة الرؤيا الأدونيسية، من خلال تناسل الحلم إلى أحلام ، استطاع الشاعر جرّ الواقع المنبوذ إلى حلم مرغوب، رغبته جعلته أسير حروفه ، حاول مراراً الفكاك من قيود عمود الشعر فمتطى جواد حلمه ، فحقق مايرنو إليه ؛ مداهمة قصر القصيدة العمودية، وخلخلة أمنها واسقرارها، وإحالتها لعدالة القضاة فستحالت جماجم وعظام طُويت في متاحف النسيان، ، يقول أيضا:[44]

... وأغني فجيعتي، لم أعد ألمح نفسي إلاّ من طرف
التاريخ في شفرةِ سأبد لكن أين؟ من أين؟ كيف
أوضح نفسي وبأي اللغات؟ هذه التي أرضع منها تخونُني

يرفض الشاعر الزج به هامش التاريخ، ويعلن تمرده خارج أطر الزمن ليس هذا فحسب وأنما خارج قواعد اللغة التي خانته، هو يحلم لا ليصلح التاريخ ولا عطبا أصاب

الروح هو يحلم ليبدع لا ليقلد ، يحلم في بناء عالمه عالم يتجاوز المرئي إلى اللامرئي، تقوده رؤيته للشعر وللكتابة.، ويقول أيضا:[45]

أيقضتني قرية في مهبة انكسر الصـــــمت
احتضني ياخالق التعب امنحني أراجيحك امتـــــحنّي أنا
الصخرة والبحث والسؤال ولاعيد ولاموقد أنا الشبح الراصد
سمائي من جلدك صفراء قيل جلدك دهر راسب في قرارة
الحلم

أيقضت القرية أحاسيس الشاعر المرهفة، ومنحته بداية حلم جديد وكسرت رتابة السكون(انكسر الصمت)، وأعطى مكانه للحركة (الكتابة)، وبذلك سلم أدونيس فكره وجسده للتعب الناتج عن مخاض ولادة القصيدة في صورتها المابعد حداثية، وهذا يتطلب فحصاً دقيقاً قبل خروج اللغة من رحم المعناة، وحريُ بالشاعر التطلع إلى لغة كشفية استشرافية، توحي بفردانية رؤيته لمفهوم الشعر، هو صخرة ترفض التماهي، هو بحث دائم التجربة، هو سؤال يستدعي إجابة، كل هذه الأدوار التي تقمصها الشاعر لاتمنح له إلا أذا كان مخرجا لقصائده ومبدعاً لها.

5.3 الأنا :

5_1 لغة: ورد في لسان العرب" الأنا اسم مكنيّ وهو للمتكلم وحده، وإنّما يبنى على الفتح فرقاً بينه وبين أنْ التي هي حرف ناصب للفعل،والألف الأخيرة إنما هي لبيان الحركة في الوقف، فإن وسطت سقطت، ومروي عن قطرب أنهّ قال في أنا خمس لغات، أنا فعلتُ، وأنت فعلت"[46]

وفي كتاب أخر:"أنا ضمير مفصل واضح الدلالة على النوع، فهو يستعمل للمذكر والمؤنث، وهو في هذا لايخالف نظائره في اللغات السامية بل لعل هذه الظاهرة عامة في باقي اللغات"[47]

5_2اصطلاحاً: يقصد بمصطلح الأنا في مدرسة التحليل النفسي" المكون من الشخصية الذي يتعامل مع العالم الخارجي ومطالبه العملية، وبتحديدِ أكثر فإنّ الأنا هو الذي يمكننا من أن ندرك وأن نفكر، وأن نحل المشكلات ونختبر الواقع"[48]

ويرى عبد الواسع الحميري " : أن الأنا الشاعرة الحداثية إنّما تمثل في حقيقة الأمر الشاعر الحداثيّ، وقد دخل هذا الأخير مع إمكانات الوجود أو التحول الشعري. فذلك يعني أنّه صار في جدل مع العالم في كليته ومن ثم أخذ يتحول في العالم بمقدار مايغير في نظامه ونظام العلاقة بين أشيائة[49] فالشاعر الحداثي حسبه هو الذي يرتقي ويتحول وهذا ما ينطبق على أدونيس صاحب الثابت والمتحول، والمنتصر لقطب التحول،فقد عمد منذ بداية مشواره في البيانات النقدية المبثوثة في مقدمات دواوينه عمد إلى برعمة هاجس التغيير، " والخروج من شكل إلى أخر ليست عملية قفز تقطع الصلة بين الآن وقبل قليل، وإنما هي عملية هدم وترميم تحافظ على قاعدة الهوية الفنية عند أي شاعر"[50] ،فالقارئ لشعر أدونيس يلمس طغيان الأنا الشاعرة الباحثة عن تموقع ووجود في ساحة الإبداع الأدبي في ظل سقوط حدوده، يقول:[51]

سمنّي قنبلة أو بندقية . . .

هذا أنا : لا لست من عصر الأفول

أنا ساعة الهتك العظيم أتت وخلخلة العقول

دعا أدونيس الشعراء إلى إعلان ثورة تجديد في القوالب الشعرية،وكان أول الملتحقين بصفوفوها،هو شاعر ثائر خلخل نظام القصيدة ورتابتها، فشتت بالتالي أفق القارئ ، هو لحظة هاربة من قيود الزمن، لاتنتمي لمرحلة الماقبل وإنما يرنو إلى لحظة المابعد الاستشرافية، كيف لا وقد سمى ذاته(ساعة الهتك، بندقية، قنبلة) وكلها مسميات توحي بعدم الاستقرار والأمن، يقول في موضع أخر: [52]

غير أنني لست وحدي

مهما حول الشاعر الانفلات من قبضة المجتمع يجد نفسه ملتزماً بقضاياه، صور لنا أدونيس في هذه اللحظة الشعرية حلول الأنا في الأنا الجمعية والتجربة الصوفيه لخير دليل على ذلك، وقد وظفها أدونيس في مقطعه هذا فإذا كانت الصوفيه مبنية على الحلول والتماهي والكشف، فهاهو أدونيس يغترف من معين التجربة فأناه تماهت وحلت في الأخر ،يقول أدونيس:[53]

سنقول البساطة: في الكون شيء يسمى الحضور وشيء

يسمى

الغياب نقول الحقيقة

نحن الغياب

هذه المرة يكسر أدونيس أفق توقعنا، ويستبدل المحور اللفظي" الأنا" بمحور أكثر شمول" نحن" الدالة على المتكلم اثنين أو أكثر، غير أنّ توظيف أدونيس انزاح عن المألوف فقد استعمله للدلالة على المفرد المتكلم لغرض تعظيم "أناه" الشاعرة،يقول [54]:

وليكن وجهي فيئاً

دهر من الحجر العاشق يمشي حولي أنا العاشق الأول

للنار

اللعب بالكلمات على مستوى المحورين(اللفظي والدلالي) وليد تجربة وجدانية ، فالشاعر أثناء تخيره لمجم قصائده يستقي ذلك من ترسبات ثقافته الجمعية،

4. خاتمة:

_ ما بعد الحداثة حركة فكرية جديدة تقوم على نقد الحضارة الغربية وإنجازاتها وتسعى إلى بلورة مشروع حضاري بديل يقوم على تحرير الإنسان من قيود الرأسمالية

_ أحدث مشروع مابعد الحداثة انفلاتاً غير مسبوق ولد انقساماً بين مؤيد ومعارض:

أ_ من المنظرين من يذهب بالقول أن مابعد الحداثة جاءت لتنعي موت الحداثة وتعلن خبر وفاتها،هذا التيار يقوم على شن هجوم مركز على قيم ومرتكزات الحداثة؛ هناك من يجعل مابعد الحداثة حركة انفصال وقطيعة على الحداثة وثوابتها

ب_ في حين يرى المدافعون أن مابعد الحداثة ليست سوى مرحلة من مراحل الحداثة

_ يعد مشروع مابعد الحداثة من أعوص المشكلات المطروحة في البساط النقدي العربي ومرد ذلك: إشكالية المصطلح وتعدد ترجمته، ناهيك عن غياب ظروف نشأته.

_ يتميز أسلوب الشاعر بخلخلة الأساليب المتوارثة سلفاً، فليس بشاعر من ليس ثائر _لأدونيس مفهوم مغاير للشعر، وبذلك أسس رؤيا تتغذى على رحيق التحول فتنبت على

شطأن الدهشة والفجائية،المشبع بالحلم المتجاوز للواقع.كما استعان أدونيس بالتجربة الصوفية من خلال آلية التماهي المطلق مع الأنا والأخر، في رحلته إلى معارج الكتابة .

5. الهوامش:

1 ينظر، مصطفى بدر الدين ،حالة مابعد الحداثة الفلسفة والفن،الهيئة العامة لمقصور الثقافة،ا لقاهرة، مصر،2013،ط1،ص27

2 ينظر، برندا مارشال، تعاليم مابعد الحداثة، المتخيل والنظرية،تر: السيد إمام، المرتكز القومي للترجمة،القاهرة،

مصر،2010 ،ط1،ص7_13

3ينظر،عبد الجليل أبو المجد،عبد العالي حارث، تجديد الخطاب الإسلامي، وتحديات الحداثة،افريقيا الشرق،الدار البيضاءالمغرب،2010،ط1، ص72

4 ينظر، تيري يجلتون ،أوهام مابعد الحداثة، تر:منى سلوم، مطابع المجلس الأعلى للأثار، مصر، 2000(د،ط) ،ص8،7

5 ينظر، بيتر بروكر،الحداثة ومابعد الحداثة،تر:عبد الوهاب علوب، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة،1995، ط1،،ص158،157

6ينظر، محمد أحمد العشيري ،الاتجاهات النقدية والأدبية الحديثة، دليل القارئ، العام ميربت للنشرالمعلومات،القاهرة،مصر،2003،ط2،،ص196

7 ينظر عبد الرحمان بن براهم،الحداثة والتجريب في المسرح،افريقيا الشرق، الدار البيضاء،المغرب،2014،(د،ط)،ص474

8ينظر، محمد جربدي،الحداثة ومابعد الحداثة، في فلسفة رتشارد رورتي،الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، مؤسسة ابن رشد ال مكتوم،2008ط1،ص196

9 ينظر،بيتر بروكر، الحداثة ومابعد الحداثة،تر: عبد الوهاب علوب ص355،354

10 ينظر،محمد الشيخ ،ياسرالطائي، مقاربات في الحداثة ومابعد الحداثة، دار الطليعة، للطباعة والنشر، لبنان،1996،ط1،ص10

11 محمد سبيلا،عبد السلام بنعبد العلي، مابعد الحداثة ،دار توبقال ، الدار البيضاء، المغرب،2007،ط1،ص5

12 ينظر، ياسين السيد،ندوة الحداثة ومابعد الحداثة، ،جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، مكتبة الاسكندرية،مصر،1998،(د،ط)،ص7

13 ينظر، محمد سبيلا ،عبد السلام بنعبد العلي، مابعد الحداثة، ص5

14 محمد سبيلا ، عبد السلام بنعبد العلي، الحداثة ومابعد الحداثة،ص61

15 المرجع السابق ،ص5

16 حمودة عبد العزيز،المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة،مجلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت،1998،عدد231،ص54

17 ياسين السيد،الكونية والأصولية ومابعد الحداثة ،ج1،مكتبة الأسد، دمشق، سوريا،1996،(د،ط)،ص261

18المرجع السابق،ج1،ص212

19 ينظر، محمد نور الدين آفاية،الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة،افريقيا الشرقن الدار البيضاء، المغرب،ط،2،1998ص107

20 السيد أحمد عزت،الحداثة بين العقلانية واللاعقلانية، انهيار دعاوي الحداثة،دار الثقافة، دمشق،سوريا،1999،ط1،ص195

21 منير البلعلبكي، المورد الحديث،دار العلوم للملايين، بيروت،لبنان،(د،ت) (د،ط)، ص735

22 علي الشرع ،التفكيكية والنقاد الحداثيون العرب، دراسات لجامعة الأردنية،مج1989،11،ع3،ص196

23 السيد أحمد عزت، الحداثة بين العقلانية واللاعقلانية،ص195-201

24 بيتر بروكر ، الحداثة ومابعد الحداثة،تر: عبد الوهاب علوب،ص15

25 عبد العزيز حمودة،المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، ص30،29

26 ينظر، مطاع صفدي ،نقد العقل الغربي، الحداثة ومابعد الحداثة،مركز الإنماء القومي، بيروت ، لبنان،1990،(د،ط)، ص223

27 ابن منظور،1997،لسان العرب،1997مج4،دار صادر، بيروت، لبنان،1997،ط1،ص449

28الرازي ،مختارالصحاح،دار الكتب الحديثة، الكويت،1993،ط1،ص437

29 بسام قطوس،سميائية العنوان،وزارة الثقافة،عمان، الأردن،ط2001،1،ص6

30 سعيد علوش ، معجم المصطلحات الأدبية، دار الكتاب اللبناني، لبنان،1985،ط1،ص155

31 ابن منظور، لسان العرب، مج3،دار المعارف،مصر،(د،ط)،(د،ت)،1541

32 جميل صليبا ،المعجم الفلسفي،ج1،دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان،1982،ط1،ص605

33 ينظر،إبراهيم رماني،الغموض في الشعر العربي الحديث،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر ،1999،ط108،1-212

34 أدونيس،هذا هو اسمي،دار الأداب، بيروت، لبنان،1988،ط1،ص27

35 المصدر السابق،ص28

36ينظر، أدونيس،فاتحة لنهايات القرن،دار العودة، بيروت، لبنان،1980، ط1،ص29-33

37المصدر نفسه،ص،28

38 المصدر نفسة،ص20

39 ينظر، ابن منظور، لسان العرب،مج2،ص145

40 محمد كعوان ،شعرية الرؤيا وأفقية التأويل،اتحاد الكتاب العرب، الجزائر،2003، ط1،ص3

41 بشير تاوريريت ،استراتجية الشعرية والرؤيا عند أدونيس،دار رسلان للطباعة، دمشق، سوريا،2003،ط1،ص63

42 أدونيس ، هذا هو اسمي،ص16،15

43 المرجع نفسه،ص16

44 المرجع السابق،ص22،21

45 المرجع السابق، ص23

46 ابن منظور،لسان العرب،دار إحياء التراث، بيروت،1999،ط1،ص50

47 محمد عبد الله جبر،الضمائر في اللغة العربية، دار المعارف،مصر،1982،ط1،ص19

48عبد الحميد جاب،علاء الدين كفافي، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر،ج3،(د،ت)،(د،ط)ص1084

49صلاح فضل،أساليب الشعرية، دار قباء، القاهرة، مصر،1998،ط1،ص26

50 عبده وزان، 2006،محمود درويشالغريب يقع على نفسه قراءة في أعماله الجديدة،دار الريس، بيروت،2006،ط1،ص34

51 أدونيس، 1988، هذا هو اسمي ،ص18

52 المرجع السابق، ص22

53 المرجع نفسه،30

54 المرجع نفسه،31

*** *** ***